المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة جدة

تأملات مع المتشابه اللفظي في ثلاث آيات متشابهات

دراسة نظرية تطبيقية

إعداد الدكتور

فازع مهنا الخزاعي

الأستاذ المساعد بقسم علوم القرآن، بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

جامعة جدة – المملكة العربية السعودية.

إصدار يناير لسنة ٢٠١٩م

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

مقدمة

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا) [الكهف: ١]، معجزة للإنس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل القرآن (تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل: ٨٩]، وشفاءً لما في صدور الناس أجمعين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن القرآن الكريم المعجزة الخالدة، تحدّى الله عز وجل به العرب قاطبة، آية لرسوله ﷺ ودلالة قاهرة، وحجة ظاهرة لنبوته، وصدق رسالته، لما فيه من عجيب نظمه، وجزالة لفظه، وبديع وصفه، وخروجه عن جميع أوزان كلام العرب ونظومه، لذا فإن علماء الإسلام -رحمة الله عليهم- قد عكفوا على مدارسة هذا الكتاب العزيز تدريساً وتعليماً، وشرحاً وتفسيراً، وتصنيفاً وتدويناً، بياناً لآي هذا الكتاب، وتوضيحاً لكلام العلي الوهاب، وإخراجاً لكنوزه ودرره، وعلومه ومعارفه، وحل مشكله، وبيان متشابهه، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفاه، إذا ثبت هذا، فإن من الآيات التي وقف المفسرون معها طويلاً، وهي ثلاث آيات متشابهات في سورة البقرة والمائدة والحج، فآية البقرة قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ) [البقرة: ٦٢]، وآية المائدة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩]، أما آية الحج فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]. حيث اختلفوا في المراد بالطوائف الأربع "الذين آمنوا" و "الذين هادوا" و "الصابئين" و "النصارى"، وذلك لأنه أتبع جل وعلا ذكر الطوائف بقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، فكيف يصح هذا البدل مما سبقه من "الذين آمنوا" ومن بقية الطوائف؟ وقد كثرت الأقوال في ذلك، وتعددت وجهات النظر، كذلك وقف المفسرون طويلاً أمام آية المائدة، لأن "الصابئين" فيها جاءت بالرفع "الصابئون" في حين أنها جاءت في آية البقرة والحج منصوبة، وقد أكثر المفسرون وأهل الإعراب من الوجوه في سبب رفع "الصابئون"، هذا وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية ' في الفتاوى[1] إلى آية البقرة حينما بيّن سبب نزولها وتفسيرها، ورد ما قيل فيها من روايات ضعيفة ذكرتها معظم كتب التفسير، وبين تناقضها مع ما ورد في روايات صحيحة، وقد جعل كلامه عن الآية تحت عنوان: [هذه تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ فيها]، وسيأتي -إن شاء الله تعالى- الإشارة إلى شيء من ذلك، بناء على ما سبق، هذا وقد جعلت الكلام في هذا البحث على خمسة مباحث:

---

(١) الفتاوى (١٤/ ٦٨).

المبحث الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحا، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المتشابه لغة.

المطلب الثاني: تعريف المتشابه اصطلاحا.

المبحث الثاني: تعريف المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث الثالث: بيان المراد بالطوائف الأربع.

المبحث الرابع: أوجه الإعراب في رفع (الصابئون).

المبحث الخامس: وجه التقديم والتأخير بين لفظي (النصارى و الصابئين).

ثم أردفت ذلك بخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع، والموضوعات، وفي الختام أسأل الله عزَّ وجل أن يرزقنا الفهم في كتابه، والتدبر في آياته، وأن يوفقنا للعلم النافع، والعمل الصالح، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
تعريف المتشابه لغة واصطلاحًا

المطلب الأول: المتشابه لغة:

قال الجوهري: (شِبه وشَبَه لغتان بمعنى، يقال: هذا شِبْهُهُ أي شبيهه... والشبهة الالتباس، والمشتبهات من الأمور: المشكلات، والمتشابهات: المتماثلات)(١). ا.هـ.

وقال ابن فارس: (الشين والباء والها أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا، يقال: شِبه وشَبه وشبيه، والشَّبَه من الجواهر الذي يشبه الذهب، والمشتبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمر إذا أشكلا)(٢)ا.هـ.

وقال الراغب الأصفهاني: (الشِّبه والشَّبه والشبيه: حقيقتهما في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، والشُّبهة: هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه، عين كان أو معنى، قال: **(وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا)** [البقرة: ٢٥] أي يشبه بعضه بعضًا لونا لا طعما وحقيقة، ... والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إمام من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى)(٣).

يتبين مما سبق أن مادة التشابه تدور على معنيين رئيسين؛ أحدهما: التماثل، والآخر: المشكلات من الأمور أو الالتباس.

---

(١) الصحاح (٦/٢٢٣٦)، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٤٣)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٤٣، ت: صفوان الداودي، دار القلم ـ دمشق بيروت.

المطلب الثاني: المتشابه اصطلاحًا:

إن المعنى الاصطلاحي للمتشابه يختلف باختلاف وروده في آي القرآن، فقد جاء مرة بمعنى التشابه العام كما في قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، قال الطبري $: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾ يعني به القرآن ﴿مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يقول: يشبه بعضه بعضا، لا اختلاف فيه، ولا تضاد)[1].

وقال البغوي ': (قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾، يشبه بعضه بعضا في الحسن، ويصدق بعضه بعضا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف)[2]، وعليه يقال إن المتشابه بهذا المعنى العام اصطلاحًا: (هو تشابه القرآن في الكمال، والإتقان، والائتلاف، فلا يناقض بعضه بعضًا في الأحكام، ولا يكذب بعضه بعضًا في الأخبار) [3]، وعلاقة هذا بالمعنى اللغوي ظاهرة فإن هنا تماثلًا وتشابهًا.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/٢٧٩)، للإمام محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) معالم التنزيل (٤/٨٥)، لأبي حمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) انظر: تقريب التدمرية (ص٧٨، ٧٩)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي-السعودية الدمام، ط١، ١٤١٩هـ.

وجاء المتشابه مرة في مقابل المحكم وهو ما يعرف بالمتشابه الخاص، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، حيث اختلف أهل العلم في معنى المحكم والمتشابه في هذه الآية اختلافًا كثيرًا، تتبعا لاختلافهم في الوقف والوصل على لفظ الجلالة (إلا الله)، وفي هذا قال الطبري ': (اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، وهل الراسخون معطوف على اسم (الله) بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه، أم هي مستأنف ذكرهم، بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون: آمنا بالمتشابه وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله؟ فقال بعضهم: معنى ذلك: وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفردًا بعلمه، وأما الراسخون في العلم فإنهم ابتدئ الخبر عنهم بأنهم يقولون: آمنا بالمتشابه والمحكم، وأن جميع ذلك من عند الله... وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم (﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾)[1] ا.هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ': (والمقصود هنا أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلامًا لا معنى له، ولا يجوز أن يكون الرسول ﷺ وجميع الأمة لا يعلمون معناه، كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين، وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ، سواء كان مع هذا تأويل القرآن لا يعلمه الراسخون، أو كان للتأويل معنيان يعلمون

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٠١- ٢٠٣).

أحدهما ولا يعلمون الآخر)[1].

وقال أيضًا: (من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله: (إلا الله) وجعل التأويل بمعنى التفسير فهذا خطأ قطعًا)[2].

هذا ولأهل العلم في معنى المحكم والمتشابه في هذه الآية الكريمة عدة اصطلاحات، أخص منها ما يتعلق بالمتشابه، ومنه يعلم معنى المحكم، هذه الاصطلاحات هي كما يلي[3]:

١. المتشابه: ما احتاج إلى بيان.

٢. المتشابه: الحروف المقطعة في أول السور.

٣. المتشابه: ما اشتبهت معانيه.

٤. المتشابه: ما اشتبهت ألفاظه منها (أي من قصص الأمم).

٥. المتشابه: ما احتمل وجوهًا.

٦. المتشابه: ما يؤمن به ولا يعمل به.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٩٠) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمعها: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٢) المصدر السابق (١٧/ ٤٠٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٧٤- ١٨٢)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤١٧- ٤٢٣).

٧. أن المتشابه: آيات الصفات.

٨ـ المتشابه: ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل مما استأثر الله بعلمها من خلال هذه المعاني المذكورة في المراد بالمتشابه يتبين أن لمعنى المتشابه من حيث الخفاء واللبس معنيان: المعنى الأول: هو التشابه بمعنى الخفاء واللبس النسبي، الذي هو خفي على بعض الناس دون بعض والأقوال السبعة الأولى هي من هذا، وعلاقة هذا بالمعنى اللغوي من حيث أن هذا الخفاء ناتج عن المماثلة، فبسبب المماثلة كان الخفاء، لكنها مماثلة نسبية.

وأما المعنى الثاني؛ فهو التشابه بمعنى الخفاء واللبس العام[١]، وهذا يمثله القول الأخير من أقوال أهل العلم، وذلك أن ما استأثر الله بعلمه من حقائق المغيبات كقيام الساعة ونحو ذلك خفاؤه عام، وعلاقة هذا بالمعنى اللغوي تحتاج إلى بيان، لأن ما أخبر الله عز وجل به من المغيبات كالذي (أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة، تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر عن نفسه أنه حي، عليم، قدير، سميع، بصير، ونحو ذلك، ونحن نعلم أن ما دلت عليه هذه الأسماء من الصفات ليس مماثلًا في الحقيقة لما للمخلوق منها، فحقيقتها لا يعلم معناها إلا الله، كما نعلم أن في الجنة لحمًا، ولبنًا، وعسلًا، وماء، وخمرًا، ونحو ذلك، ولكن ليس حقيقة ذلك من جنس ما في الدنيا، وحينئذ لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء

---

(١) أشار إلى هذين المعنيين الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه في تقريب التدمرية (ص٨٢، ٨٣).

المعلومة معانيها في الشاهد، ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، مع العلم بالفارق المميز، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد)[1].

(١) انظر: تقريب التدمرية (ص٨٣).

المبحث الثاني

تعريف المتشابه اللفظي في القرآن

عرَّفه بعض الباحثين المعاصرين[1] بأن المراد به: (الآيات التي تكررت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا، وتعريفًا وتنكيرًا، وإفرادًا وجمعًا، وإيجازًا وإطنابًا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك. مع اتفاق المعنى العام. لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره)[2].

وقد فهم هذا التعريف من خلال تحديد العلماء مفهوم المتشابه اللفظي في ثنايا أقوالهم ووصفهم له، ومن ذلك ما ساقه الإمام ابن جرير الطبري ' عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تعيينه المراد بالمتشابه في آية آل عمران، فقد حدد المتشابه بما نسميه الآن بالمتشابه اللفظي، حيث قال: (والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني)[3]ا.هـ.

---

(١) هو الدكتور صالح بن عبد الله الشثري.

(٢) انظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية (ص٤)، دراسة تحليلية للدكتور صالح بن عبد الله الشثري، ط٣، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٣) تفسير الطبري (١٧٨/٦).

وعـبَّر عنـه الزركشي ـ بقولـه: (هـو إيـراد القصـة الواحـدة في صـور شـتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب، ليعلّمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك)[1] ا.هـ.

وأشار إليه الخطيب الإسكافي عند بيانه لسبب تأليف كتابه (درة التنزيل) حيث قـال: (إنِّي مـذ خصَّـني الله تعـالى بإكرامـه وعنايتـه، وشرفني بإقراء كلامـه ودراسـته، تـدعوني دواع قويـة، يبعثهـا نظـر ورويـة في الآيـات المتكـررة بـالكلمات المتفقـة والمختلفة، وحروفها المتشابهة والمتعلقة والمنحرفة[2]، تطلبًا لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآياتها دون أشكالها)[3] ا.هـ.

وأشـار إليـه كـذلك الكرمـاني في مقدمـة كتابـه البرهـان حيـث قـال: (فـإن هـذا كتـاب أذكـر فيـه الآيـات المتشـابهات التـي تكـررت في القـرآن، وألفاظهـا متفقـة، ولكـن وقـع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك، مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/١١٢) لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) قال الدكتور صالح الشثري: والمراد بذلك والله أعلم ـ أن بعض الكلمات المتشابهة قد يتعلق بالمعنى الأصلي للآية، والبعض الآخر قد يعدل به عن هذا المعنى إلى معنى آخر يراد أيضًا من الآية. انظر: المتشابه اللفظي في القرآن (ص١٨).

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل (١/٢١٧) للخطيب الإسكافي، ت: الدكتور محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

غير زيادة ولا نقصان، وأبين السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة الأخرى، التي تشاكلها أم لا)[1] ا.هـ.

فهذه جملة من أقوال العلماء في مفهوم المتشابه اللفظي، تدل دلالة واضحة على عنايتهم به تصنيفًا، أو تبويبًا في كتب علوم القرآن.

(١) البرهان في متشابه القرآن (ص١١٠) للإمام محمود بن حمزة الكرماني، ت: أحمد عز الدين خلف الله، دار صادر ـ بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

المبحث الثالث

بيان المراد بالطوائف الأربع

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيهم خمسة أقوال[1]:

أحدها: أنهم قوم كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يبعث محمد ﷺ، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين آمنوا بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى فآمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد – ﷺ – وهذا قول السدي عن أشياخه.

والثالث: أنهم المنافقون، قاله سفيان الثوري.

والرابع: أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقس بن ساعدة، وبحيرا، وورقة بن نوفل، وسلمان.

والخامس: أنهم المؤمنون من هذه الأمة.

وزاد أبو حيان – في تفسيره[2] – ثلاثة أقوال أخرى، وهي:

السادس: أنهم أصحاب سلمان الفارسي.

السابع: أنهم مؤمنوا الأمم الخالية.

---

(١) زاد المسير (١/ ٩١).

(٢) البحر المحيط (١/ ٢٤١).

الثامن: أنهم المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله من سائر الأمم، ثم قال أبو حيان: - بعد ذكره للأقوال الخمسة السابقة (فهذه ثمانية أقوال في المعنى بالذين آمنوا). يقول الرازي: وسبب هذا الاختلاف قوله تعالى في آخر الآية: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ فإن ذلك يقتضي أن يكون المراد من الإيمان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ غير المراد منهم في قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ فلأجل هذا الإشكال ذكروا وجوها)ا.هـ[1].

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – تلك الأقوال وبين ما فيها من ضعف، بعد أن بين أن القول الصحيح في (الذين آمنوا) هم أمة محمد – □ –، حيث قال ' و (الذين آمنوا) أولاً المراد بهم أمة محمد – □ – وأما ما يذكره طائفة من المفسرين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أن فيهم أقوالاً – فذكر بعض الأقوال المتقدمة – ثم قال: فهذه الأقوال ذكرها الثعلبي وأمثاله، ولم يسموا قائلها، وذكرها أبو الفرج ابن الجوزي إلا السادس، وسمى قائل الأولين، وذكر أنهم المنافقون عن الثوري، وهذه الأقوال كلها مبتدعة لم يقل الصحابة والتابعون لهم بإحسان شيئاً منها، وما نقل عن السدي غلط عليه، وقد ذكرنا لفظه الموجود في تفسيره المنقول بالإسناد الثابت في تفاسير الذين يذكرون الأسانيد، كتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم، وتفسير أبي بكرة بن المنذر، و تفسير محمد بن جرير

---

(١) تفسير الرازي (٢/ الجزء ٣/ ١١٢- ١١٣).

الطبري، وأمثال هذه التفاسير، وما نقل عن ابن عباس لا يثبت) ا.هـ[1]. وبيّن شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – أن سبب خطأ المفسرين في هذه الآية يرجع إلى ظنهم أن الآية فيمن بُعث إليهم النبي – □ – خاصة، حيث قال ': (فظن بعض الناس أن الذين أخبر عنهم في الآية بالنجاة والسعادة ليسوا إلا ممن بعث محمد – □ – إليهم،لم يخبر فيها بحال من كان موجوداً قبل مبعثه، وغلطوا فيها في الفهم ثم افترقوا على أقوال متناقضة تخالف لفظ الآية ومعناها، والصواب هو القول الآخر، وأن الآية عامة تتناول من اتصف بما ذكر فيها قبل مبعث الرسول – □ – وهو الذي يدل عليه لفظ الآية ويعرف به معناها من غير تناقض، ويعرف بها قدرها، ويظهر به مناسبتها لما قبلها وما بعدها، وهذا هو القول المعروف عن السلف وجمهورهم، وعليه يدل ما ذكروه من سبب نزول الآية، فقد روى ابن أبي حاتم[2] وغيره بالأسانيد الثابتة عن سفيان بن عيينة عن بن أبي نجيح عن مجاهد قال: قال سلمان: (سألت النبي – □ – عن أهل دين كنت معهم، فذكر من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، ولم يذكر في هذا أن النبي – □ – قال فيهم أولاً: (إنهم من أهل النار)كما روى ذلك بأسانيد ضعيفة،

---

(١) الرد على المنطقيين (٤٤٩- ٤٥١).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، القسم الأول من سورة البقرة (١/ ١٩٨)، علق عليه الشيخ/ أحمد شاكر بقوله: (إسناده منقطع، مجاهد لم يسمع من سلمان الفارسي) انظر: عمدة التفسير (١/ ١٥٩).

وهذا هو الصحيح) ا.هـ[1]، وقال في موضع آخر[2]: (وكذلك ذكر السدي عن أشياخه في تفسيره المعروف، قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي بينما هو يحدث النبي – □ – إذ ذكر أصحابه، فأخبره فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستبعث نبياً، فأنزل الله هذه الآية:: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، فقال: كان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وبسنة موسى حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً، وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد – □ –، فمن لم يتبع محمداً – □ – منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل كان هالكاً[3]، قال ابن أبي حاتم: وروى عن سعيد بن جبير نحو هذا) من خلال ما تقدم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ' يتضح أن كلامه يفيد أن ما ذكر في القول الأول والثاني معنىً للذين آمنوا ليس تفسيراً لصيغة (الذين آمنوا) كما جاء في تلك الروايات الضعيفة التي أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله عن الرواية الأولى المنسوبة إلى ابن عباس: (وما نقل

---

(١) تفسير آيات أشكلت (ص ٢٤٢- ٢٤٤).

(٢) الرد على المنطقيين (ص ٤٤٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ١٥٠- ١٥٤) وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بقوله: (هذا حديث منقطع في شأن إسلام سلمان الفارسي)، وممن أخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في تفسيره القسم الأول من سورة البقرة (١/ ١٩٨- ١٩٩) بلفظ مختصر.

عن ابن عباس لا يثبت) وبقوله عن الرواية الثانية: (وما نقل عن السدي غلط عليه)، وإنما هو تفسير لما تبع تلك العبارة من قوله: (الذين هادوا والنصارى)، وهو ما صرح به شيخ الإسلام بقوله: (وهي أقوال باطلة، فإن من كان متمسكاً بشريعة عيسى قبل أن يبعث محمد – □ – من غير تبديل فهم النصارى الذين أثنى الله عليهم، وكذلك من تمسك بشريعة موسى قبل النسخ والتبديل، فهم اليهود الذين أثنى الله عليهم) ا.هـ[1] وهذا المعنى الذي أفاده كلام شيخ الإسلام أُخذ من ذكره لرواية مجاهد والسدي، وهما روايتان ضعيفتان، فقد ضعفهما الشيخ أحمد شاكر لانقطاعهما، إلا أنه يمكن أن يقال بمجموعهما يرتقيان إلى درجة الحسن لغيره.

أما القول الثالث بأنهم المنافقون، فهذا القول يرد عليه من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا التفسير المنسوب إلى سفيان الثوري ' نسبته لا تصح، ذلك أن تفسير سفيان الثوري المطبوع لم يعرض لتفسير هذه الكلمة أصلاً.

الوجه الثاني: أن في هذا التفسير تخصيص بلا دليل مخصص، بل سياق الآية يدل على خلافه، فسياقها يدل على العموم، ذلك أن الله عز وجل صوّر الآية بقوله: (إن الذين آمنوا من الآية) واسم الموصول (الذين) يدل على ذلك.

وأما القول الرابع: بأنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، فيقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ': (وطلاب الدين: (كحبيب النجار كان على دين المسيح،

---

(١) الرد على المنطقيين (ص ٤٥١).

وكذلك بحيرا الراهب وغيره، وكل من تقدم من الأنبياء وأمتهم يؤمنون بمحمد – □ –، فليس هذا من خصائص هذا النفر القليل) ا.هـ[1].

أما بقية الأقوال: من أنهم مؤمنوا الأمم الخالية، أو أنهم المؤمنون بالله وكتبه ورسله من سائر الأمم، أو المؤمنون بالكتب السابقة قبل التوراة والإنجيل، كزبور داود وصحف إبراهيم، فكلها أقوال غير منسوبة لأحد من العلماء، وهي تخصيص بلا مخصص، ولا يشهد لها أثارة من نقل أو دليل من عقل، بناء على ما تقدم، فإن الذي يترجح من الأقوال – والعلم عند الله – في المراد بـ(الذين آمنوا) هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى – من القول بأنهم أمة محمد – □ –، وذلك لما يلي:

أولاً: أن قوله تعالى: **(ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)** هو لقب للأمة الإسلامية في عرف القرآن كما قاله الطاهر بن عاشور – رحمه الله تعالى –[2].

ثانياً: أن هذا القول لا يشكل عليه قوله: **(مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ)**، بأن يقال: كيف يؤمن المؤمن؟ لأن معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع المراد منه ثباته على إيمانه وتركه تبديله، كما قاله الإمام الطبري – رحمه الله تعالى –[3].

ثالثاً: أن سياق الآية يدل على هذا القول، ذلك أن السياق في معرض ذكر

---

(١) الرد على المنطقيين (ص ٤٥١).

(٢) التحرير والتنوير (١/ الجزء ١/ ٥٣٢).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ١٤٨).

عدد من الفرق والطوائف، بدليل عطف بعضها على بعض بحرف العطف الواو، ومن المعلوم أن العطف يقتضي المغايرة إلا أن يدل الدليل على خلاف ذلك.

(بيان المراد بـ(الذين هادوا):

يقول الإمام الطبري ': (وأما (الذين هادوا) فهم اليهود[1]، ويقول الرازي: (أما قوله تعالى: (والذين هادوا) **فقد اختلفوا في اشتقاقه على وجوه:**

أحدها: إنما سمعوا به حين تابوا من عبادة العجل وقالوا: **(إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ)**[2] أي تبنا ورجعنا، وهو عن ابن عباس.

وثانيها: سموا به لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب، وإنما قالت العرب بالدال للتعريب، فإن العرب إذا نقلوا أسماء من العجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها.

وثالثها: قال أبو عمرو بن العلاء: سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة) ا.هـ[3]، يقول الحافظ ابن كثير ': (واليهود من الهوادة وهي المودة أو التهود وهي التوبة... فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض) ا.هـ[4]، وقيل في اشتقاق هذا الاسم كذلك: لأنهم مالوا عن

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٤٣).

(٢) سورة الأعراف، آية: [١٥٦].

(٣) تفسير الرازي (٢/ الجزء ٣/ ١١٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٥٦).

دين الإسلام، ذكره الإمام البغوي ' في تفسيره[1]، فتحصل مما سبق خمسة أقوال في اشتقاق (الذين هادوا) وكلها أقوال محتملة لأن كل قول أخذ معنىً من معاني هذا الاسم، وإن كان الذي يظهر- والعلم عند الله - أن أولى الأقوال هو القول الأول موافقة للقرآن الكريم.

(بيان المراد بـ(النصارى):

يقول الإمام الطبري ': (والنصارى) جمع، واحدهم نَصْران، كما واحد السَّكارى سكران وواحد النَّشاوى نشوان، وكذلك جمع كل نعت كان واحده (فعلان) فإن جمعه على (فعالى) إلا أن المستفيض من كلام العرب في واحد (النصارى) "نصراني" وقد حكي عنهم سماعاً "نَصْران" بطرح الياء) ا.هـ[2]. وأما اشتقاق هذا الاسم فيقول عنه الرازي: **(وأما النصارى ففي اشتقاق هذا الاسم وجوه:**

أحدها: أن القرية التي كان ينزلها عيسى عليه السلام تسمى ناصرة، فنسبوا إليها، وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج.

وثانيها: لتناصرهم فيما بينهم، أي لنصرة بعضهم بعضاً.

وثالثها: لأن عيسى عليه السلام قال للحواريين ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[3] ا.هـ. وهذا القول الأخير هو أولى الأقوال وأحراها بالصواب، وذلك لموافقته لمنطوق

---

(١) معالم التنزيل (١/ ١٠٢).

(٢) تفسر الطبري (٢/ ١٤٣).

(٣) سورة الصف، آية: [١٤]، تفسير الرازي (٢/ الجزء ٣/ ١١٣).

القرآن ونصه، والله تعالى أعلم.

(بيان المراد بالصابئين):

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – في تفسيره[1]: (وأما "الصابئون" فقد اختلف فيهم:

– فقال سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: الصابئون: قوم بين المجوس واليهود والنصارى، ليس لهم دين، وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه، وروى عن عطاء وسعيد بن جبير نحو ذلك.

– وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، والسدي، وأبو الشعثاء جابر بن زيد، والضحاك، وإسحاق بن راهوية: "ألصابئون" فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور.

– وقال هشيم عن مطرف: كنا عند الحكم بن عتيبة، فحدثه رجل من أهل البصرة عن الحسن أنه كان يقول في الصابئين: إنهم كالمجوس، فقال الحكم: ألم أخبركم بذلك؟.

– وقال عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن عبد الكريم: سمعت الحسن ذكر الصابئين فقال: هم قوم يعبدون الملائكة.

– وقال أبو جعفر الرازي: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلون إلى القبلة، وكذا قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٥٦ – ١٥٧) باختصار.

- وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال: "الصابئون" قوم مما يلي العراق، وهم بكوثي، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات.

- وسئل وهب بن منبه عن الصابئين، فقال: الذي يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً.

- وقال عبد الله بن وهب قال عبد الرحمن بن زيد: الصابئون: أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول: لا إله إلا الله، قال: ولم يؤمنوا برسول، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي - □ - وأصحابه: هؤلاء الصابئون، يشبهونهم بهم، يعني في قول: لا إله إلا الله.

- ثم يقول: الحافظ ابن كثير وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي - والله أعلم - ا.هـ. هذا ما أورده الحافظ ابن كثير ' من أقوال في معنى "ألصابئين" وقد رجح منها قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه حيث قال: (وأظهر الأقوال والله أعلم قول مجاهد و متابعيه، ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هو قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتنونه، ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئي، أي: أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك) ا.هـ[1] إلا أن

---

(١) تفسيرالقرآن العظيم (١/ ١٥٧).

الحافظ ابن كثير ' لم يذكر دليلاً على هذا الترجيح، وإن كان يبدو أنه قد اعتمد في ذلك على رأي شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ' حيث عرض لتحقيق معنى "الصابئين" في كتابه "الرد على المنطقيين"، وقال ' كلاماً سديداً جمع فيه بين الأقوال، وبين أن المقصود بكل قول منها طائفة من الصابئين غير المقصودة بالقول الآخر، وأن من هذه الطوائف من هو من الحنفاء الموحدين، ومنها من هو غير ذلك، وفي هذا يقول – رحمه الله تعالى –: (وأما من قال من السلف: الصابئون: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، كما نقل ذلك عن أبي العالية، والضحاك، والسدي، وجابر بن زيد، والربيع بن أنس، فهؤلاء أرادوا من دخل في دين أهل الكتاب منهم، وكذلك من قال: هم صنف من النصارى – وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم – فهؤلاء عرفوا منهم من دخل في أهل الكتاب.

ومن قال: إنهم يعبدون الملائكة – كما يروى عن الحسن – قال: هم قوم يعبدون الملائكة، وعن أبي جعفر الرازي قال: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهذا أيضاً صحيح، وهم صنف منهم، وهؤلاء كثير من الصابئين يعبدون الروحانيات العلوية، لكن هؤلاء من المشركين منهم، ليسوا من الحنفاء، وكذلك اختلاف الفقهاء في الصابئين هل هم من أهل الكتاب أم لا؟

– ويذكر فيه عن أحمد روايتان – وكذلك قولان للشافعي – والذي عليه محققوا الفقهاء أنهم صنفان:

فمن دان بدين أهل الكتاب كان منهم، وإلا فلا.

وقال أبو الزناد: الصابئون قوم مما يلي العراق، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً، ويصلون إلى الشمس كل يوم خمس صلوات، فهؤلاء الصابئة الذين أدركهم الإسلام – وكانوا بأرض حران – والذي خبروهم عرفوا أنهم ليسوا من أهل الكتاب، بل مشركون يعبدون الكواكب، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، وإن أظهروا الإيمان بالنبيين، فهو من جنس إيمان الفلاسفة بالنبيين، والفلاسفة الصابئون هم من هؤلاء) ا.هـ[1] هذا ما ذكره شيخ الإسلام ' في طوائف الصابئين غير الحنفاء، وكان قبل ذلك قد عرض لطائفة الصابئين الحنفاء بقوله: (وأما الصابئون الحنفاء فهم – في الصابئين – بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل من اليهود والنصارى – وهؤلاء ممن حمدهم الله وأثنى عليهم – ووهب بن منبه من أعلم الناس بأخبار الأمم المتقدمة، وقد روى ابن أبي حاتم بالإسناد الثابت أنه قيل لوهب بن منبه: ما الصابئون؟ قال: الذي يعرف الله وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفراً، وكذلك روى عن الثوري عن ليث عن مجاهد قال: هم قوم من المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، قال وروي عن عطاء نحو ذلك، أي ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، ولم يرد بذلك أنهم كفار، فإن الله تعالى قد أثنى على بعضهم، فهم متمسكون بالإسلام المشترك، وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل، وتحريم الفواحش والظلم، ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه، فإن هذا دخل في الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره،

---

(١) الرد على المنطقيين (٤٥٦ – ٤٥٧).

وكذلك قال عبد الرحمن بن زيد: هم قد يقولون: لا إله إلا الله فقط، وليس لهم كتاب ولا نبي) ا.هـ[1] ثم يقول شيخ الإسلام ' موضحاً ما كان عليه العرب قبل عبادة الأوثان: (وهذا كما كانت العرب عليه قبل أن يبتدع عمرو بن لحي الشرك وعبادة الأوثان، فإنهم كانوا حنفاء يعبدون الله وحده، ويعظمون إبراهيم وإسماعيل، ولم يكن لهم كتاب يقرؤونه ويتبعون شريعته، وكان موسى قد بعث إلى بني إسرائيل بشريعة التوراة وحج البيت العتيق، ولم يبعث إلى العرب – لا عدنان: ولد إسماعيل، ولا قحطان...)ا.هـ[2] ولاشك أن هذا القول هو الذي رجحه الحافظ ابن كثير ' فيما تقدم عنه. إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أن هذا الترجيح الذي ذهب إليه الحافظ ابن كثير ' مؤيداً فيه لرأي شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ' إنما يراد به الصابئون المعنيون بالآية، لأن الآية ذكرتهم في معرض المدح مع الذين آمنوا واليهود والنصارى، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (بأن الصابئة نوعان: حنفاء موحدون، وصابئة مشركون، فالأولون هم الذين أثنى الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ...﴾، فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع: المؤمنين، واليهود، والنصارى، والصابئين) ا.هـ[3].

---

(١) الرد على المنطقيين (٤٥٥).

(٢) المصدر السابق (٤٤٥).

(٣) المصدر السابق (٢٨٨).

المبحث الرابع

بيان أوجه الإعراب في رفع (الصابئون) في سورة المائدة

يقول أبو حيان:... وقرأ القراء السبعة (والصابئون) بالرفع، وعليه مصاحف الأمصار، والجمهور، **وفي توجيه هذه القراءة وجوه:**

أحدها: مذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة أنه مرفوع بالابتداء، وهو منوي به التأخير، ونظيره: إن زيداً وعمرو قائم، والتقدير: إن زيداً قائم وعمرو قائم، فحذف خبر عمرو لدلالة خبر (إن) عليه، والنية بقوله: وعمرو التأخير، ويكون عمرو قائم بخبره هذا المقدر معطوفاً على الجملة من أن زيداً قائم، وكلاهما لا موضع له من الإعراب.

الوجه الثاني: أنه معطوف على موضع اسم (إن) لأنه قبل دخول (إن) كان في موضع رفع، وهذا مذهب الكسائي والفراء، أما الكسائي فإنه أجاز رفع المعطوف على الموضع، سواء كان الاسم مما خفي فيه الإعراب، أم مما ظهر فيه، وأما الفراء فإنه أجاز ذلك بشرط خفاء الإعراب، واسم (إن) هنا خفي فيه الإعراب.

الوجه الثالث: أنه مرفوع معطوف على الضمير المرفوع في (هادوا)، وروي هذا عن الكسائي، ورد بأن العطف عليه يقتضي أن الصابئين تهودوا وليس الأمر كذلك.

الوجه الرابع: أن تكون (إن) بمعنى (نعم) حرف جواب، وما بعده مرفوع

بالابتداء، فيكون "الصابئون" معطوفاً على ما قبله من المرفوع، وهذا ضعيف، لأن ثبوت (إن) بمعنى (نعم) فيه خلاف بين النحويين وعلى تقدير ثبوت ذلك من لسان العرب فتحتاج إلى شيء يتقدمها يكون تصديقاً له، ولا تجيء ابتدائية أول الكلام من غير أن تكون جواباً لكلام سابق ا.هـ[1]. زاد السمين الحلبي على هذا وجوهاً آخر حيث قال:

(الخامس: قال الواحدي وفي الآية قول... لهشام بن معاوية: وهو أن تضمر خبر (إن) وتبتدئ (الصابئون)، والتقدير: (إن الذين آمنوا والذين هادوا يرحمون) على قول من يقول إنهم مسلمون و(يعذبون) على قول من يقول إنهم كفار، فيحذف الخبر إذ عرف موضعه... ثم قال الواحدي: وهذا القول قريب من قول البصريين، غير أنهم يضمرون خبر الابتداء ويجعلون (من آمن) خبر (إن) هذا على العكس من ذلك، لأنه جعل (من آمن) خبر الابتداء وحذف خبر (إن) قلت: هو كما قال.

السادس: أن (الصابئون) مرفوع بالابتداء وخبره محذوف، كمذهب سيبويه والخليل، إلا أنه لا ينوي بهذا المبتدأ التأخير، فالفرق بينه وبين مذهب سيبويه في التأخير وعدمها، قال أبو البقاء: وهو ضعيف أيضاً، لما فيه من لزوم الحذف والفصل.

السابع: أن (الصابئون) منصوب، وإنما جاء على لغة بني الحارث وغيرهم

---

(١) البحر المحيط (٣/ ٥٣١).

الذين يجعلون المثنى بالألف في كل حال نحو: رأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، نقل ذلك مكي بن أبي طالب و أبو البقاء، وكأن شبهة هذا القائل على ضعفها أنه رأى الألف علامة رفع المثنى، وقد جعلت في هذه اللغة نائبة رفعاً ونصباً وجراً، وكذا الواو هي علامة رفع المجموع سلامة، فيبقى في حالة النصب والجر كما بقيت الألف، وهذا ضعيف بل فاسد. قال السمين الحلبي: قال مكي: وإنما رفع (الصابئون) – **وهو وجه ثامن** – لأن (إن) لم يظهر لها عمل في (الذين)، فبقي المعطوف على رفعه الأصلي قبل دخول (إن) على الجملة، قلت – أي السمين الحلبي – هذا هو بعينه مذهب الفراء، أعني أنه يجيز العطف على محل اسم (إن) إذا لم يظهر فيه إعراب) ا.هـ[1]، كما أورد مكي بن أبي طالب في مشكله وجه آخر – **وهو الوجه التاسع** – حيث قال: وقيل: (إن خبر (إن) محذوف مضمر دل عليه الثاني، فالعطف بـ(الصابئين) إنما أتى بعد تمام الكلام وانقضاء اسم (إن) وخبرها، وإليه ذهب الأخفش والمبرد) ا.هـ[2]. هذا حاصل ما قيل من وجوه في رفع (الصابئون)، والذي يظهر من هذه الوجوه – والعلم عند الله – هو ما ذهب إليه الأخفش والمبرد من أن خبر (إن) محذوف مضمر دل عليه الثاني وأن عطف (الصابئون) أتى بعد تمام الكلام وانقضاء اسم (إن) وخبرها، **وذلك لما يلي:**

---

(١) الدر المصون (٤/ ٣٥٩- ٣٦٢).

(٢) مشكل الإعراب (١/ ٢٣٢- ٢٣٣).

أولاً: لكونه أبعد الأقوال المذكورة عن التكلف، وأقربها مراعاة للنظم، وأرجحها في المعنى.

ثانياً: ذهب إلى ترجيح هذا القول الجمل في حاشيته على الجلالين بقوله: (قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي إيماناً حقاً لا نفاقاً، وخبر (إن) محذوف، تقديره، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون – دل عليه المذكور –، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ مبتدأ، فالواو لعطف الجُمل، أو للاستئناف. وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾، عطف على هذا المبتدأ. وقوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: خبر عن هذه المبتدآت الثلاثة. وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من كلٍ منها، بدل بعض، فهو مخصص، فكأنه قال: الذين آمنوا من اليهود والنصارى ومن الصابئين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون – ثم يقول الجمل –: هذا ما درج عليه الشارح في الإعراب، وفي المقام وجوه تسعة أخرى ذكرها السمين، وما مشى عليه الجلال أوضح وأظهر من كل منها...) ا.هـ[1].

ثالثاً: أن ما أورد من وجوه غيرها رجعناه لم يسلم واحد منها من أخذ ورد وإيراد للإشكالات عليه، فضلاً عن ضعف بعضها واضطراب بعضها الآخر. بناء على ما تقدم يكون المراد بالآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هم أمة محمد – □ –، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين آمنوا من اليهود والصابئين والنصارى، أي دخلوا في الإسلام وعملوا بشرائعه، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ففي الآية

---

(١) الفتوحات الإلهية (١/ ٥١١).

دعوة لأهل الطوائف الثلاث بالدخول في الإسلام والاستجابة لدعوة الرسول – □ –، والعمل بشريعته، وإشعار لهم بأن ما هم عليه من دين وشريعة لم يعد مقبولاً بعد أن جاء الإسلام. كما قال تعالى: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ) [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ) [آل عمران: ١٩].

المبحث الخامس

وجه التقديم والتأخير بين لفظي (النصارى والصابئين)

لقد جاء تقديم النصارى على الصابئين في آية البقرة، بينما جاء تأخرهم وتقديم الصابئين في سورتي المائدة وفي الحج، ولعلماء المتشابه في هذا التقديم والتأخير توجيه؛ من ذلك ما قاله الخطيب الإسكافي عن آية البقرة: (فهذا ترتيب على حسب ما ترتب عليه تنزيل الله تعالى كتبه، فصحف إبراهيم عليه السلام قبل التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والتوراة قبل الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، فرتبهم الله عز وجل في هذه الآية على ما رتبهم عليه في بعثة الرسالة، ثم أتى بلفظ الصابئين، وهم الذين لا يثبتون على دين، وينتقلون من ملة إلى أخرى، ولا كتاب لهم كما للطائفتين اللتين ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦] فوجب أن يكونوا متأخرين عن أهل الكتاب، وأما بعد هذا الترتيب، فترتيبهم في سورة المائدة وتقديم الصابئين على النصارى، ورفعه هنا ونصبه هناك ترتيب ثان لهم، فالأول على ترتيب الكتب، والثاني على ترتيب الأزمنة؛ لأن الصابئين وإن كانوا متأخرين عن النصارى بأنه لا كتاب لهم، فإنهم متقدمون عليهم بكونهم قبلهم؛ لأنهم كانوا قبل عيسى عليه السلام، فرفع (الصابئون) ونوى به التأخير عن مكانه،... وإنما قدَّم في اللفظ وأخَّر في النية؛ لأن التقديم الحقيقي التقديم لكتب الله المنزلة الأنبياء عليهم السلام،.. وأما الترتيب الثالث في سورة الحج فترتيب الأزمنة الذي لا نية للتأخير معه، لأنه لم يقصد في هذا المكان أهل الكتب، إذ كان أكثر من

ذكر ممن لا كتاب لهم، وهم الصابئون، والمجوس، والذين أشركوا عبدة الأوثان)[1] ا.هـ.

ووافقه على هذا الكرماني، وابن الزبير، وابن جماعة، والأنصاري[2]، وخلاصة كلام الخطيب الإسكافي بأن (الترتيب بين هذه الفرق يعود لأحد أمرين، أحدهما: ترتيب بحسب الكتب السماوية المنزلة على كل أمة، والثاني: ترتيب بحسب الأزمنة لا بحسب الكتب، فآية البقرة الترتيب فيها بحسب الكتب، فقدَّم الذين آمنوا بما أنزل على إبراهيم عليه السلام؛ لأنهم سابقون، ثم الذين هادو؛ لأن التوراة سابقة على الإنجيل، ثم النصارى؛ لأنهم أهل الإنجيل، ثم أتى بالصابئين لأنهم لا كتاب لهم، أما آية المائدة والحج فالترتيب فيهما بحسب الزمان، فقدَّم الصابئين على النصارى لأنهم أسبق منهم زمنًا، وهذا أمر واضح في آية الحج لمجيء (الصابئين) بالنصب، أما آية المائدة فقدَّم لفظًا ونوى تأخيره معنى فرفع على الاستئناف)[3]، وهذا الذي ذهب إليه الخطيب الإسكافي وجيه وله حظ من النظر.

---

(١) انظر: درة التنزيل (١/ ٢٥١-٢٥٧).

(٢) انظر: البرهان (ص١٢٦، ١٢٧)، وملاك التأويل (١/ ٤٣- ٤٥)، وكشف المعاني (ص١٠٠، ١٠١)، وفتح الرحمن (ص٣٠).

(٣) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (ص٤١٨).

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة النظرية التطبيقية عن المتشابه عمومًا والمتشابه اللفظي خصوصًا، تبين لي النتائج التالية:

١ـ أن مادة التشابه من حيث اللغة تعود إلى معنيين رئيسين، أحدهما التماثل، والآخر المشكلات من الأمور أو الالتباس.

٢ـ أن المعنى الاصطلاحي للمتشابه يختلف باختلاف وروده في آي القرآن الكريم، فقد يأتي بمعنى التشابه العام، ويكون المراد به يشبه بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف، وقد يأتي بمعنى التشابه الخاص الذي يكون في مقابل المحكم، وحينئذ يكون المراد به عدة اصطلاحات كثيرة، ويكون بمعنى الخفاء واللبس النسبي الذي يخفى على بعض الناس دون بعض، أو يكون التشابه بمعنى الخفاء واللبس العام الذي استأثر الله بعلمه من حقائق المغيبات التي لا يعلم حقيقتها إلا هو سبحانه وتعالى.

٣. لم يذكر العلماء السابقون الذين تكلموا عن المتشابه اللفظي سواء تصنيفًا، أو تبويبًا في كتب علوم القرآن حدًا للمتشابه اللفظي، ولكن فهم المتأخرون ذلك من كلامهم فاجتهدوا ووضعوا له حدًا اصطلاحيًا.

٤ـ أن أظهر الوجوه في رفع (الصابئون) ـ والله أعلم ـ هو ما ذهب إليه الأخفش، والمبرد من أن خبر (إن) محذوف مضمر دل عليه الثاني، وأن عطف (الصابئون) أتى بعد تمام الكلام، وانقضاء اسم (إن) وخبرها.

٥ـ المراد بالآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الآية [البقرة: ٦٢] هم أمة محمد ﷺ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين آمنوا من اليهود والنصارى والصابئين أي دخلوا في الإسلام وعملوا بشرائعه، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ففي الآية دعوة لأهل الطوائف الثلاث بالدخول في الإسلام، والاستجابة لدعوة الرسول ﷺ، والعمل بشريعته، وإشعار لهم بأن ما هم عليه من دين وشريعة لم يعد مقبولًا بعد أن جاء الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

٦ـ أن الترتيب بين هذه الفرق في الآيات الثلاث يعود لأمرين؛ أحدهما: ترتيب بحسب الكتب السماوية المنزلة على كل أمة، وهذا كان في آية البقرة، والثاني: ترتيب بحسب الأزمنة، وهذا كان في آية المائدة والحج.

فهرس المراجع

١- البحر المحيط، لأبي حيان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢- البرهان في متشابه القرآن، للإمام محمود بن حمزة الكرماني، ت: أحمد عز الدين خلف الله، دار صادر ـ بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، القسم الأول من سورة البقرة، تحقيق: د/ أحمد بن عبد الله الزهراني، نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ودار طيبة بالرياض، ودار ابن القيم بالدمام، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٤- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، لأبي محمد حسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد بن عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥- تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

٦- تفسير الحافظ ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، للحافظ ابن كثير الدمشقي، كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين الرازي الشافعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٩- تفسير آيات أشكلت لشيخ الإسلام ابن تيمية، دارسة وتحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، دار الصميعي، الطبعة الثالثة: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٠- تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي ـ السعودية الدمام، ط١، ١٤١٩هـ.
١١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، دار القلم، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٢- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، ت: الدكتور محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
١٣- الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار المعرفة، بيروت.
١٤- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٥- الصحاح، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٦- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: الشيخ/ أحمد شاكر.

١٧- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا بن محمد الأنصاري، ت: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٨- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان بن عمر الشهير بـ(الجمل)، دار الفكر.
١٩- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة، ت: الدكتور عبد الجواد خلف ـ دار الوفاء ـ المنصورة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢٠- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، دراسة تحليلية للدكتور صالح بن عبد الله الشثري، ط٣، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٢١- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمعها: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م
٢٢- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.
٢٣- معالم التنزيل، لأبي حمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٤- معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٢٥- مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان الداودي، دار القلم ـ دمشق بيروت.
٢٦- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم الغرناطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ١
المبحث الأول: تعريف المتشابه لغة واصطلاحًا ٤
المطلب الأول: المتشابه لغة: ٤
المطلب الثاني: المتشابه اصطلاحًا: ٥
المبحث الثاني: تعريف المتشابه اللفظي في القرآن..... ١٠
المبحث الثالث: بيان المراد بالطوائف الأربع..... ١٣
المبحث الرابع: بيان أوجه الإعراب في رفع (الصابئون) في سورة المائدة..... ٢٦
المبحث الخامس: وجه التقديم والتأخير بين لفظي (النصارى والصابئين)..... ٣١
الخاتمة..... ٣٣
فهرس المراجع..... ٣٥
فهرس الموضوعات..... ٣٩